إدارة الاضطرابات

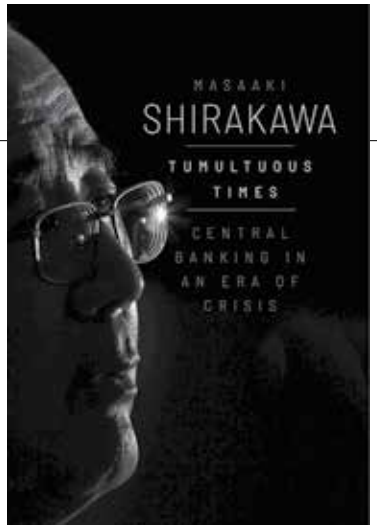

ماساكي شيراكاوا
فترة مضطربة: الصيرفة المركزية في عصر الأزمة
Masaaki Shirakawa
Tumultuous Times: Central Banking in an Era of Crisis
Yale University Press,
New Haven, CT, 2021, 536 pp., $40.00

ماساكي شيراكاوا أمضى عقوده الأربعة الأخيرة في بنك اليابان، من ١٩٧٢ إلى ٢٠١٣، في بيئة شكلتها ظروف اقتصادية متنوعة، وغالبا ما كانت قاسية. فقد خفت وهج المعجزة الاقتصادية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ومر الاقتصاد «الفقاعي» بمرحلتي تضخم وانفجار، وتوالت العقود الضائعة. وكانت هناك تحديات من الخارج، بما في ذلك الأزمة المالية العالمية والصعود الاقتصادي للصين – ففي عام ٢٠٠٠، كان حجم اقتصاد الصين ربع حجم اقتصاد اليابان، ولكنه أصبح ضعف هذا الحجم بحلول عام ٢٠١٥.

وهذه التطورات، إلى جانب غيرها مما خبِرَه شيراكاوا، المحافظ السابق لبنك اليابان، قادت إلى فترة تموج بالاضطرابات. فقد ظلت السياسة النقدية مقيدة بحدود أسعار الفائدة الأساسية طوال ربع قرن. وباتت ظلال أسعار الفائدة الصفرية ظاهرة للعيان بحلول عام ١٩٩٥. لكن منذ عام ١٩٩٩، أصبح الحد الأدنى الصفري مهيمنا على صنع السياسة النقدية في اليابان، مما أجبر بنك اليابان على استكشاف أدوات غير تقليدية للسياسة النقدية والتوسع في ميزانيته العمومية. وقد قدمت اليابان نموذجا استرشاديا مبكرا لمثل هذه المبادرات حذا حذوه فيما بعد الكثير من البنوك المركزية في الاقتصادات المتقدمة الأخرى.

ويقدم شيراكاوا رؤية شخص مطلع عن سياسات البنك المركزي، ويحكي بصراحة عن التفاعلات داخل الحكومة والبرلمان. ويعكس فصلان من أطول فصول الكتاب أوجه القلق لدى محافظ بنك مركزي يعمل في بيئة ذات طابع سياسي مشحون. ويأتي جزء بعنوان «شهري الأخير في المنصب» في نهاية فصل يعرض لتلك العملية الطويلة والصعبة التي أدت إلى صدور بيان مشترك من الحكومة وبنك اليابان. غير أن نهاية فصل عن العوامل الديمغرافية أخفت في طياتها درة من أنفس درر الرؤى السياسية. ففيها يعترف الكاتب أن شيراكاوا الشاب قد غض الطرف عن الأهمية السياسية والاجتماعية للعوامل الديمغرافية. أما شيراكاوا الأكبر سنا فهو يدرك أن ديمقراطية الشعر الأبيض ظهرت ملامحها مع ارتفاع أعمار الناخبين، مما يجعل الإصلاح أكثر صعوبة.

أما الفصل المفضل لديَّ فهو الذي يحمل عنوان «ما الذي ينبغي أن نتوقعه من البنك المركزي؟» وهنا يناقش شيراكاوا عمل البنوك المركزية من حيث النظرية والتطبيق، متجاوزا حدود السياسة النقدية. ويذهب الفصل إلى أن أول أهداف البنك المركزي هو تحقيق الاستقرار المالي، حتى قبل استقرار الأسعار. ويتعارض هذا مع الرؤية التقليدية من أن استقرار الأسعار يجب أن يكون الهدف الأساسي للسياسة النقدية.

أما شيراكاوا الأكبر سنا فهو يدرك أن ديمقراطية الشعر الأبيض ظهرت ملامحها مع ارتفاع أعمار الناخبين، مما يجعل الإصلاح أكثر صعوبة.

إنه كتاب زاخر بالمعلومات العميقة في فصول قصيرة متكاملة. فإذا كنت مهتما بالتعرف على عالم البنوك المركزية في بلد يتسم بتناقص تعداد سكانه وانخفاض نموه وأسعار فائدته، فلا غنى لك عن قراءة كتاب فترة مضطربة.

وقد كتب ميلتون فريدمان ذات مرة: «النظرية النقدية مثل حديقة يابانية. ففيها وحدة جمالية تولد من رحم التنوع، وبساطة ظاهرة تخفي واقعا معقدا، ومشهدا سطحيا يتماهى مع منظورات مغرقة في العمق». ويمكن أن يسري القول نفسه على كتاب شيراكاوا بفكره العميق وجوانبه المتعددة. FD

فيتور غاسبار، مدير إدارة شؤون المالية العامة بصندوق النقد الدولي